



اسم الدرس : تفسير سورة الهمزة

تصنيف الدرس : خطبة

تفسير سورة الهمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام ١]. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف ١]. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء. الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه. وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم؛ ما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، وما ترك شراً إلا وحدنا منه. فصلاةً وسلاماً دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢]

أما بعد، أحبتي في الله: من رحمة الله عز وجلّ بعباده أنه لم يتركهم سدى، ولكن أنزل إليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور حتى يكونوا على بينة من أمرهم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ﴾ [الأنفال ٤٢]. أنزل الله عز وجلّ كتابه القرآن، وحفظه من التغيير ومن التبديل. أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله)^١. وأخبرنا صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه)^٢. فالظلمات في ازدياد والشرّ يزداد، والحلّ الأوحى للنّجاة من هذه الظلمات - كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم - هو التمسك بكتاب ربنا وبسنة نبينا. وكلّما ازدادت الظلمات وجب علينا أن نزداد تمسكاً بكتاب الله عز وجلّ. فالله عز وجلّ أنزل هذا القرآن؛ ليخرجنا من الظلمات إلى النور. قال نبينا صلى الله عليه وسلم وهو يخبرنا عن كتاب الله عز وجلّ: أنه (سبب - أي حبل - طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم)^٣، فمن ترك هذا الحبل يهلك ويسقط في ظلمات وفي تيه! ومهما بحث عن قارب

^١ وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا كتاب الله وعزّرتي أهل بيتي لن يتفرقا حتى يردا على الحوض

ابن العربي (٥٤٣ هـ)، عارضة الأحوذني ١٥٩/٧ • صحيح

^٢ أتينا أئس بن مالك، فشكونا إليه ما تلقى من الحجاج، فقال: اضربوا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ.

البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٧٠٦٨ • [صحيح]

^٣ [عن جبير بن مطعم]: أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الجامع ٣٤ • صحيح • أخرجه البزار (٣٤٢١)، والطبراني (١٢٦/٢) (١٥٣٩)

للنَّجاة غير ذلك فلن ينجو. لذلك وجب علينا أن نقرأ القرآن وأن نتدبره وأن نعمل به وأن نجاهد أنفسنا على قراءته وتدبره والعمل به.

ومعنا اليوم سورة من كتاب الله عز وجل نتدبر ما فيها من معاني لعل الله عز وجل أن يرفعنا بها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرأ وارتيق)^٤. فكلما ازداد الإنسان قراءةً ازداد رقيًا في الدنيا وفي الآخرة.

هذه السورة - سورة الحمزة - الكلّ يحفظها حتى الأطفال، هذه السورة العظيمة.

قال ربنا سبحانه وتعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الحمزة: ١-٩]

هذه السورة في بداية غير معهودة -إلا في موضع آخر- بدأت بالويل. أحيانًا السور تبدأ بمقدمات أو بحروف مقطعة، لكن هذه السورة بدأت بالويل، كسورة المطففين، وهذه السورة بدأت بـ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الحمزة ١]. ونجد أن السور التي تبدأ بالويل تتحدث عن ذاك الذي يؤدي الناس ويطعن في الناس ويأكل أموال الناس، فالأذى المتعدّي بدأت السور فيه بالويل.

{ وِيلٌ } أي: عذابٌ شديد. وجاء نكرة مُنَوَّنة؛ فلا يعلم قدره إلا الله، أيًا كان قدر هذا العذاب في جهنم عيادا بالله يتوعد الله عز وجل بالويل كلّ همزة لمزة، فلن يفلت أحد. { وَيْلٌ لِّكُلِّ } فلن يفلت أحد من عقاب الله. عندما تقرأ الآية وتجد الله يبدأ السورة بالويل؛ تتعجب! يخبرنا الله عز وجل أن الويل لفلان، ممن؟ حتى تبعد عنه وعن صفاته... { وَيْلٌ لِّكُلِّ } لمن يا رب، حتى أبتعد عن هذه الصفة؟ { كُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ }. { هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ } الذي يهزم الناس ويلمز الناس ويطعن في الناس ويسخر منهم.

ما الفرق بين الهمز واللمز؟ { وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ } المعنى العام للصفتين: السخرية، الغيبة، الطعن، الانتقاص؛ أي أنه لا يعدُّ الناس شيئًا ويحتقر الناس ويسخر منهم.

^٤ [عن عبدالله بن عمرو]: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية [كُنتَ] تُقرأ بها

الألباني (١٤٢٠ هـ)، السلسلة الصحيحة ٢٢٤٠ • قوي بالطرق • أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٥٦)، وأحمد (٦٧٩٩) باختلاف يسير.

تفسير سورة الهمة

عندما تكلم العلماء عن الفارق بين الهمز واللمز، تكلموا كثيراً. قال بعضهم: الهمز في الخفاء، واللمز في المواجهة. فالذي يغتابك من ورائك؛ هذا همز، أو يطعن فيك من خلفك؛ هذا همز. واللمز يكون في المواجهة.

وقال بعضهم: الهمز حركات بالأيدي أو بالعين والإشارات، حتى الغمزة والإشارة يعلمها الله ويحاسب عليها. تأمل كيف يحفظ الله عز وجل لك عرضك. فالذي يشير إشارة من خلفك وأنت لا تدري تُكتب عليه. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر ١٩]، فبمجرد أن يشير أحد من ورائك إشارة سيئة تُكتب عليه، ويأخذ الله عز وجل لك هذا الحق. فقال بعضهم: الهمز إشارة، واللمز كلام. وقال بعضهم: الهمز واللمز في اللغة معناه الدفع والضغط والكسر. والاثان متقاربان، الهمز واللمز: الفارق في حرف، الها واللام. فقالوا: حرف اللام أقوى من حرف الهاء في الحروف، لذلك اللمز أقوى من الهمز.

والذي يقرأ القرآن ويستقرئ هذه الكلمات في القرآن يُفاجأ أن اللمز دائماً يأتي للطعن في النيات وخاصة في الأموال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ..﴾ [التوبة ٧٩]، بل حتى مع النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ..﴾ [التوبة ٥٨]، فاللمز طعن في التوايا. أما الهمز ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون ٩٧]، والشيطان يرانا من حيث لا نراه، فالهمز يكون في خفاء، كما يفعل الشيطان والعياذ بالله. واللمز أن يطعن في نيتك أو في عرضك.

فالشاهد أنه جمع بين الصفتين أيًا كانت الفروق، هو جمع كل نقيصة فيها استهزاء وانتقاص من الناس. هولاء يعدُّ الناس شيئاً فيزدريهم ويحتقرهم.

انظر إلى تعبير القرآن، لم يقل: ويلٌ للهامز اللّامز، ولكن قال: { وَيَلْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ } . هذه الصيغة في اللّغة -وللأسف حين ابتعدنا عن اللغة العربية، فابتعدنا عن لغة القرآن فصار في لساننا عجمة بيننا وبين كلام ربنا وبين سنة نبينا صلى الله عليه وسلم-، صيغة الهمزة على وزن فُعَلَةٌ تدل على المبالغة والتكرار حتى أصبحت هذه الصفة جزءاً لا يتجزأ منه.

فالشخص يكون عالماً، ثم بعد ذلك يكون علامة، فهذه التاء تدل على أن هذه الصفة أصبحت جزءاً منه. فهذه الصيغة (الفُعَلَةُ): أي يُكثر من الهمز واللمز. إن تراه في أي وقت تراه يهمز أو يلمز، يطعن في هذا ويغتاب هذا ويسخر من هذا. أصبحت هذه الصفة جزءاً من شخصيته لا يستطيع أن يتوقف والعياذ بالله.

تفسير سورة الهمزة

كحديث نبينا صلى الله عليه وسلم: (وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يُكْتَبَ عند الله كَذَابًا)°. لذلك قال بعض شُرَّاح الحديث: "إذا أراد أن ينطق بالصدق لا يستطيع"، (حتى يُكْتَبَ عند الله كَذَابًا). الإنسان أحياناً يمارس الصفة السيئة ويعتاد عليها حتى تصبح هذه الصفة -والعياذ بالله- جزءاً منه لا يتجزأ، لا يستطيع أن يتخلّى عنها، فيعاقب بذلك، لإصراره عليها واحتقاره للناس. فكأن هذه الصفة أصبحت جزءاً منه لا يستطيع أن يتخلّى عنها، لا يستطيع أن يعامل الناس باحترام أو بتقدير، وإذا احترمهم في حضورهم يطعن فيهم من خلفهم.

ما الذي دفعه إلى هذا؟ ما الذي جعله يحتقر الناس إلى هذا الحد؟ ما الذي جعله يهمز ويلمز ويجمع هذه النقائص والعيوب؟ ما الذي جعله يفعل هذا؟ اعتداده بالمال، وكبره بما معه من مال.

{ وَيَأْتِي لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ * الَّذِي.. } من يا رب؟ { الَّذِي } أداة تعريف، عندما تُعرّف شخصاً فأقول لك: هل تعرف فلاناً؟ تقول لي: من هو فلان؟ أقول لك: فلان الذي..! (الذي) اسم موصول يُعرّف: الذي يفعل كذا، فتذكر أشهر صفة فيه.

يقول لك فلان الذي يذهب يصلي قبل الفجر بساعة، فلان الذي يتكلم بالطريقة الفلانية، فلان الذي... فإذا ذكرت أداة التعريف (الاسم الموصول الذي) ستذكر أشهر صفة، فإذا ذكرت علمت هذا الشخص. فيخبرنا الله -عز وجل- أن الذي يتلبس بهذه الصفات الأساسية فيه ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة ٢]، كأنه لا يفعل شيئاً في الحياة غير ذلك، كلُّ وظيفته في الحياة أن يجمع المال { الَّذِي جَمَعَ مَالًا } نكرة، فهو يجمع أي مال، حلالاً كان أو حراماً، المهم أن يكون عنده مال.

كقوله سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ..﴾ [البقرة ٩٦]

أية حياة. هكذا هذا يجمع المال من أي مكان لا يبالي من حلالٍ أو من حرامٍ، بعدما جمع المال، انظر الشره انظر الحرص: { جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ }، قيل: عدده: ظلّ يعدّه مرة بعد مرة، بعدما يعده غير مرة يقسمه أصنافاً ويعود ليعدّ كلَّ صنفٍ ثانيةً بمفرده، { وَعَدَّدَهُ } قيل: عدده عدّه مرة بعد مرة: وقيل: قسّمه أصنافاً وأنواعاً، وقيل: عدده: أي أعدّه لنوائب الدهر، أي: بعدما جمع المال قال: الآن لن يستطيع أحد أن يفعل فيّ شيئاً، أنا معي كل الأموال ومعني كل الأسباب، حتى المرض لا يستطيع أن يقترب مني، والعياذ بالله هكذا يظنُّ؛ لذلك قال الله بعدها: { الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ.. } [الهمزة ٢-٣]

° [عن عبدالله بن مسعود:] لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً

هذا المسكين هذا الواهم ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهزرة ٣] يظنُّ أنَّ هذا المال سيحمله خالداً في الدنيا، يظنُّ أنَّ هذا المال يمنع عنه البلاء والشقاء والمرض، يظنُّ أنَّ هذا المال يمنع عنه كلَّ مصيبة. كما قال صاحب الجنتين في سورة الكهف: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف ٣٥]، فيقول: لا يمكن أن تضيع هذه الأموال، لا يمكن للحنة أن تفتى أبداً، لا أعتقد أنها تفتى... إحساس السيطرة والهيمنة على الأسباب يجعل الإنسان -والعياذ بالله- يستغني عن مولاه، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [العلق ٦]، يطغى على نفسه وعلى الناس، لماذا يطغى؟ ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق ٧]، رأى نفسه مستغنياً والعياذ بالله. فالسبب الرئيسي لاحتقاره للناس هو استغناؤه بما معه من مال، هذا المال الذي ظلَّ طوال عمره يجمعه وحسب، لا يعطي زكاة ماله ولا يتصدق لا يعرف الله في ماله حقاً، لا يُعطي للسائل والمحروم، لا يفكر في أيِّ طاعة. تتعجب من شخص ظلَّ يجمع الأموال سنين ولا يُخرج الزكاة ولا يذهب إلى الحج والعمرة، تتعجب، فلماذا المال إذا؟ قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (إنما أنزل المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة)^٦، لنستعين به على طاعة الله، الذي جمع مالاً وكأنه لا يفعل شيئاً في حياته، الوظيفة الأساسية له كما أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم: (حمار بالنهار جيفة بالليل)^٧، لا يفعل أي شيء إلا أن يكون آلهة تجمع المال وحسب، لذلك لما أراد الله -عزَّ وجلَّ- أن يُعرفنا هذا الشخص، إذا أردت أن تتعرف عليه أن تُعرفه للناس، هو ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهزرة ٢]، يفتخر بالمال، يظنُّ أنَّ بقاءه مرتبط ببقاء المال، فإذا ذهب المال ذهب هو، وإذا بقي المال يظنُّ أنه سيبقى.

{يَحْسَبُ...} دائماً الحسبان في القرآن يأتي للظنِّ الخاطئ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا...﴾ [العنكبوت ٤]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَلَّن بُحْمَهُمْ عِظَامَهُ﴾ [القيامة ٣]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا...﴾ [التوبة ١٦]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ...﴾ [آل عمران ١٤٢] {يَحْسَبُ}: أي يظن هذا المسكين الواهم أنَّ ماله أخلده. انظر التعبير القرآني، كل كلمة في القرآن معجزة، بل كل حرف في القرآن معجز، لم يقل الله "يحسب أن ماله سيخلده" أن المال سيحمله خالداً، لا؛ هو يرى أن الموضوع

^٦ [عن أبي واقد الليثي:] إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَاوْدٌ، لَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَاوْدَانٍ لَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَثُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ

الألباني (١٤٢٠ هـ)، السلسلة الصحيحة ١٦٣٩ • صحيح

^٧ [عن أبي هريرة:] إِنَّ اللَّهَ يُغْضُ كُلَّ حَفْظَرِيٍّ جَوَاطِئِ سَخَابٍ بِالْأَسْوَاقِ جِيفَةً بِاللَّيْلِ حَارًّا بِالنَّهَارِ عَلِيمٌ بِأَمْرِ الدُّنْيَا جَاهِلٌ بِأَمْرِ الآخِرَةِ

ابن حبان (٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان ٧٢ • أخرجه في صحيحه

منتهي ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمة ٣]، فعل ماضٍ، يقول: أنا أصبح معي الأموال وانتهى، فلا أحد سيقدر علي!

دركات الطغيان لا يتوقعها الإنسان، هذا طريق كلما سار فيه انحدر وهو لا يشعر، طريق الطغيان - والعياذ بالله- وهذه الدركات يسقط فيها الإنسان وهو لا يشعر خطوة تلو خطوة، وتبدأ بالاستغناء عن الله والتكبر على الخلق -والعياذ بالله- ثم يسخر منهم ولا يبالي.

- كما قلت- في اللغة الهمز واللمز معناه الكسر، أصل هذه الكلمة الدفع والضغط والكسر، وكأنه لا يبالي أن يحطم فلان أو أن يضغط على نفسه أو يكسر أماله لا يبالي.

كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (شر الرعاء الخطمة)^٨ أي: شرُّ راعٍ يرعى الناس ويولي حقوقهم هو الذي يحطم الناس لا يبالي بهم، لا يبالي أخذوا حقوقهم أم لا، قُتلوا أم لا، لا يبالي بهم! يدعُ الناس: أي يدفعهم ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون ١-٢] الدعُ: في اللغة معاملة الأنعام، يعامل الناس كأهل أقل منه، يعاملهم معاملة الأنعام والعياذ بالله، يحطم الناس ولا يبالي، هناك كلمات تؤذي الناس. أحياناً تتكلم بكلمة لا تلقي لها بالاً قد تحطم نفسية فلان، قد تقضي على طموحه وآماله، لذلك يقول الله -عز وجل-: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى...﴾ [البقرة ٢٦٣]، قد لا تتخيل أن يقول لك أحدهم: خذ مالاً وأقول لك كلام يضايقك، أم أقول لك كلام حسن ولا تأخذ مالاً!...

نحن نعتقد ربما نتخار أن تأخذ المال وتدعه يقول ما يريد! ولكن يجربنا الله أن القول الطيب أفضل من الصدقة التي يتبعها أذى، سمى الله الكلمة {أذى} لأنها تؤذي، أحياناً نتكلم بكلام ولا نراعي، قد تسخر من إنسان وأنت لا تبالي، يتحطم هذا الإنسان وأنت لا تبالي، لذلك أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلمة: (إنَّ الرجلَ ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفاً)^٩ والعياذ بالله. وإن كان كثير من العلماء حمل هذا الحديث على الرجل الذي يتكلم بالكلمة الظالمة عند سلطان ظالم ليهدر بها دم أخيه، الوشاية؛ أنه يشي بفلان ويتكلم عليه. كلماتٌ بسيطة قد تدمر أسر، أشخاصٌ

^٨ [عن عائذ بن عمرو:] إن شرَّ الرعاء الخطمة فإياك أن تكون منهم (فقال: اجلس فإننا أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ فقال: هل كانت لهم نخالة إن كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم

ابن حبان (٣٥٤ هـ). صحيح ابن حبان ٤٥١١ • أخرجه في صحيحه

^٩ [عن أبي هريرة:] إنَّ الرجلَ ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار

الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ٢٣١٤ • حسن صحيح

تفسير سورة الهمزة

وعائلات تُدَمَّرُ بسبب كلمة ظلم تُقال، كذلك الذي يتكلم في النَّاسِ ويطعن فيهم ويقول كلمة تبلغ الآفاق، شائعة؛ يقول كلمة واحدة تبلغ الآفاق؛ فيتحطم أناس بسبب كلمة، لذلك حذر الله -عز وجل- من ذلك.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة ١-٣]، طالما معه مال فهو يسخر، والسخرية سلاح مشهور، سلاح العاجز عن المواجهة بالحقائق، فالذي لا يتكلم بحقائق وعقائد يسخر.

عندما أرادوا أن يواجهوا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسخرون، سلاح السخرية معروف ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين ٢٩-٣١]. وهناك برامج كاملة للسخرية من أهل الدين، تبث برامج تلفزيونية لأجل الانتقاص منهم عند الناس، ولكن الله -عز وجل- يرفع أهل دينه وأهل كتابه، (إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين)^{١٠}.

يسخر، لا يبالي، فقال الله عز وجل عن هذا الواهم الذي يحسب أن ماله أخلده: {كَلَّا...} لن يحدث، لن يُجَلَّدَ، لن ينفعه المال.

هكذا حدث لصاحب الجنَّتين ﴿.. قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف ٣٥] فأصبح ماؤها غورًا ولم يستطع له طلبًا وأيقن في تلك اللحظة ﴿هُنَالِكَ آلُ لِهٖ آلُ حَقِّقْ﴾ [الكهف ٤٤]، أيقن بعدما زالت الأسباب وانقطع المال، أيقن أن الله بيده كلُّ شيء سبحانه وتعالى. {ءَاَلَيْكَ}! قال ذلك الطاغية أنه هو ربه الأعلى، ثم قال ﴿.. ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ..﴾ [يونس ٩٠]. {ءَاَلَيْكَ}! لماذا لا يصدِّق الناس إلا بعد زوال الأسباب؟ لماذا لا يوقن الناس إلا على فراش المرض والموت؟ لماذا يستغني الناس بالأسباب؟!

{كَلَّا...} ثم تأتي لام القسم، ﴿.. لِيُنَبِّدَنَّ فِي الْخِطْمَةِ﴾ [الهمزة ٤] انظر إلى العدل، انظر إلى الجزاء، فالجزاء من جنس العمل، كان ينبذ النَّاسِ، النبذ إلقاء نوى التمر -شيء لا تُبالي به-، كما كان يعامل الناس هكذا في الدنيا يُعامل بنفس المعاملة في الآخرة، يُنبذ، يُطرح، لا يكلمهم الله ولا يركيهم ولا ينظر إليهم.

^{١٠} [عن عمر بن الخطاب:] إنَّ الله تعالى يرفع بهذا الكتابِ أقوامًا، ويضع به آخرين

{لَيْبِذُنَ}: بمفرده وحيداً، يُبْذ {في الحطمة}: لو كان سيُلقي مهملاً في مكان بدون عذاب لكان أمراً صعباً جداً على نفسه. تخيل وهو يُلقى ويُبذ ويُرمى ويُطرح في نار جهنم. نعوذ بالله من نار جهنم. لكنه لن يُلقى في أيّة نار!

في القرآن أسماء النار تختلف حسب المواضع، لأنّ كلّ شيء له عذابه، فالجزء من جنس العمل. {لَيْبِذُنَ} أين؟ {في الحطمة}. نَحَطُّمْ عظامه، تُكسِّره، مثلما كان يُكسِّر ويحطِّم الناس ويطعن في الناس ولا يبالي، الآن يُحطِّم... تأمل الإعجاز القرآني؟!

قلنا بأن الهمز واللّمز معناه في اللّغة الدفع والكسر، والآن يُلقى في نار يُحطِّم فيها ويُدفع ويُضغَط. والتحطيم غير التكسير؛ من الممكن أن تكسر شيئاً بترتيب معين، أما التّحطيم فهو تكسير بلا مبالاة. أيّاً كانت الأشياء التي سُكِّسِر، ذراعاه، رجله، رأسه، فيُلقي، وهو يسقط في جهنم له عقاب مخصوص، قال نبينا صلى الله عليه وسلم: {يُحشَر المتكبرون يوم القيامة أمثال الدَّرّ - مثل النمل - يطوهم الناس بأقدامهم} ¹¹ مثلما كان يدوس على النَّاس في الدّنيا، فالجزء من جنس العمل. فكذلك يُلقى ويُبذ ويسقط في الحطمة، الذي يتكلم بكلمة تتسبب في أذية الناس تهوي به هذه الكلمة في النار سبعين خريفاً، سبعين سنة، لأجل كلمة، فما بال الذي كان يؤذيهم بيده! الذي تكلم بكلمة تسببت في إيذاء الناس يُلقى بسبب الكلمة في النَّار سبعين سنة فما بال الذي يؤذي ماذا يُفعل به، فما بال الذي يُمارس الإيذاء ويأمر بإيذاء الناس، فما بالكم ماذا يُفعل فيه؟!... يُلقى في النار سبعين سنة ليس عذاباً، سبعين سنة يسقط فقط، لم يبدأ العذاب بعد، يهوي إلى أن يصل إلى مكانه المعدّ المخصّص له على قدر أفعاله ومعصيته. نعوذ بالله من نار جهنم ونعوذ بالله أن نخوض في أعراض الناس أو أن نسخر منهم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

أحييتي في الله، نزل القرآن ليغيّرنا، كي نقرأ القرآن ونتدبره ونتخلّق به، كان صلى الله عليه وسلم خلّقه القرآن، فينبغي علينا حينما نقرأ القرآن إذا وجدنا خلّفاً يمدحه الله عزّ وجلّ تخلّقنا به، وإذا وجدنا أخلاقاً ذمّها الله عزّ وجلّ نتعد عنها، هكذا نتغيّر ونتخلّق بالقرآن.

هذه السّورة تحذّرنا من إيذاء النَّاس ولو بالإشارة، ولو بالغمز، ولو بإشارة باليد.

أمّنا عائشة رضي الله عنها لما تكلمت عن أمّنا صفية وأشارت بيدها فقط تقصد أنّها قصيرة. أشارت بيدها فقط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {لقد قلت كلمة - هذه الإشارة قامت مقام كلمة، وهي

¹¹ [عن أبي هريرة: [يُحشَر المتكبرون يوم القيامة في صور الدَّرّ تطوهم الناس لهوانهم على الله تعالى.

العراقي (٨٠٦ هـ)، تخرّج الإحياء ٤١٥/٣ • إسناده حسن • أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والجمول» (٢٢٤) باختلاف يسير، والبراز (٨٠٢١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٩٤/١٢) مختصراً

مرّة عابرة- لو مُزجت بماء البحر لمزجته^{١٢} أي: لأفسدته ولغيّرتة. فما بالناس بالذي يمارس هذا الخلق ولا يتخلّى عنه ويطعن في الناس ويؤذي الناس ويسخر منهم. جاءت هذه السورة لتحذّره، لتكون عليه حجّة يوم القيامة.

نعود إلى الآيات، قال الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة ٤] قلنا بأنّ الجزء من جنس العمل؛ كما كان يحطّم في الناس ولا يبالي، ويطعن في الناس ولا يبالي، الآن يُحطّم في جهنم ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة ٤-٥] مهما قرأت أو سمعت عن الحطمة لن تتخيل ما فيها من عذاب. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة ٥] هذه -أي الحطمة- {نَارُ اللَّهِ}، ليست نار أحد من البشر، ليست نارًا أوقدها أحد البشر ليعذب غيره، هذه نار الله! تخيل! الله بقدرته وعظّمته وجلاله إذا أراد أن يعذب أحدًا ماذا يفعل به؟! تخيل أعلى درجة حرارة يستطيع البشر الوصول لها الآن، البشر الآن يصنعون أفرانًا تصهر الحديد، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا (أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار الآخرة)^{١٣}. أقصى درجة حرارة يصل إليها الناس نار الآخرة أشد، تخيل عندما يقول الله عز وجلّ: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ﴾ [الهمزة ٦] لا تنطفئ.

نار الدنيا التي أعدّها لتعذيب المؤمنين في سورة البروج قال الله عنها: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج ٥] كانت تحتاج وقودًا، إذا تركوها تنطفئ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج ٦] جالسين بجوارها حتى لا تنطفئ، لكنّ نار الله موقدة لا تنطفئ أبدًا -والعياذ بالله-. نعوذ بالله من نار جهنم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة ٥-٧] ما معنى أنّ النار {تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}؟ قيل تحطّم كلّ شيء حتى تصل إلى قلبه. تحرق الجلد وتكسر العظام حتى تصل إلى القلب، ويصل إلى أعلى درجات الألم ثم يعاد مرة أخرى وتبدّل الجلود والعظام ثم يعاد العذاب مرة أخرى -والعياذ بالله-. هذا لأنه كان يكرّر السخرية في كلّ مرة فيكرّر عليه العذاب. وقيل ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة ٧]

^{١٢} [عن عائشة أم المؤمنين:] قلتُ للنبي ﷺ: حسبك من صفة كذا. قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته. قالت: وحكيث له إنسانًا فقال: ما أحب أن حكيت لي إنسانًا وأن لي كذا وكذا

المنذري (٦٥٦ هـ)، الترغيب والترهيب ٨/٤ • [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربها] • أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢) باختلاف يسير

^{١٣} نازك هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم قالوا: يا رسول الله إنها أي نار الدنيا لكافية قال: إنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرّها.

ابن عثيمين (١٤٢١ هـ)، الضياء اللامع ٦٤٦ • صحيح

لأنَّ المشكلة الأساسية كانت عنده في الكبر، في القلب، فالنار {تَطَّلِعُ} وكأنها تستطيع أن تُمَيِّزَ مَنْ المتكبر، فتَطَّلِعُ على الفؤاد فإذا علمت أنه فلان المتكبر عاقبته.

النار تغضب لغضب ربها سبحانه وتعالى ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ..﴾ [الملك ٨] هذه النار تَطَّلِعُ وتنظر إلى الأفئدة، هذا قلب متكبر فتحطمه؛ لأنَّ عذاب التحطيم عذاب خاصّ وعقوبة خاصّة. فكما أنّ في الجنة درجات خاصّة لأعمال خاصّة من أهل الإيمان، هناك في النار دركات وعقوبات خاصة، -والعياذ بالله-. نعوذ بالله من ذلك.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ﴾ [الهمزة ٥-٧]، الفؤاد: القلب المتقلب ليس الثابت، القلب الذي يحتاج إلى تثبيت ﴿.. كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ..﴾ [الفرقان ٣٢] ، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَرَعًا..﴾ [القصص ١٠]

هذا القلب كان متقلّبًا بسبب الدنيا، دائمًا متقلّب، كان قلبه يصعد وينزل مع أسعار العملات لا يثبت، قلبه دائمًا متقلّب، إذا حصل على المال اطمأنّ بالمال. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۚ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ - أي اطمأنّ بالخير لا بالله- وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج ١١] ، هذا الفؤاد لطلما تقلّب، والآن تَطَّلِعُ عليه النار لتذيقه الألم، كان يتألم لفقد المال والآن يتألم من النار، كان يتكبر على الناس والآن يتألم ويصل العذاب إلى قلبه، إلى فؤاده، ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ﴾ [الهمزة ٧].

هذا العذاب مستمرّ، لأنّه كان معتقدًا أنّ المال يمكن أن ينجيه من أيّ مشكلة، كان إذا مرّ بمشكلة في الدنيا كان يفكر أولًا في أسبابه وفي علاقاته. أمّا في جهنّم -والعياذ بالله- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة ٨] ، لا أحد يستطيع أن ينجيه، لا وسائط ولا شفعاء ولا أموال ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل ١١]، أي إذا سقط في جهنّم لن ينفع المال.

﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٦-٨]. {إِنَّهَا}: أي النار، {عَلَيْهِمْ}: هم خاصة، {مُؤَصَّدَةٌ}: مغلقة. الوصيد: الباب، {مُؤَصَّدَةٌ}: مغلقة. يصرخ يريد أن يخرج، فلا يخرج منها. بل قال بعض أهل العلم إنّه يكون في عقاب انفرادي، فكما عاش منعزلًا متكبرًا على النَّاسِ بماله، يُعزَلُ رَغْمًا عَنْهُ فِي النَّارِ بمفرده.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨-٩] ما معنى {في عمدٍ ممددة}؟ بعض العلماء قال: {في عمد} : أي النار المغلقة عليهم. -هذا السجن- مغلّق بأعمدة، عندما تغلق الباب وتريد أن تستوثق من غلق هذا الباب تضع أعمدة وأشياء تغلق هذا الباب، فيخبرنا الله -عزّ وجلّ- أنّ هذه النّار التي أغلقت عليهم يؤضع عليها أعمدة تمنع من الخروج، حتّى تتخيّل مدى السجن الانفرادي المحبوس فيه -والعياذ بالله-. "السجن من نار والأعمدة من نار" كما قال ابن جرير. كلُّ شيء من نار -والعياذ بالله-. وقال بعض أهل العلم: "ليست النّار هي التي في عمد ممدّدة بل هم في عمد ممدّدة"، أي توجد أغلال في أيديهم وأعناقهم وأرجلهم، أغلال ممدودة أو أعمدة ممدودة وهو بداخل هذه الأعمدة، ويشوى في جهنّم -والعياذ بالله-. وقال بعضهم: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة ٩] "توايبت مغلقة من نار". الأعمدة خشب يوضع في الأرجل ويمدّد ويغلق عليه هذا السجن، كتوايبت من نار تشتعل عليه.

كلّما تقرأ كلام المفسرين في تفسير ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة ٩] تفزع . من الذي يعرّض نفسه لهذا العذاب؟! أيّا كان ما سيحدث سواء كان سيغلق عليه أبواب، سواء سيُشوى، سواء أغلال في الأعناق وفي الأرجل، أيّا كان، أو توايبت من نار، من الذي يدفع بنفسه إلى هذا المكان؟ لماذا؟! نشوة الكبر التي لا تستمرّ في الدنيا، يُضحيّ لأجل هذه النّشوة وهذا الكبر! يضحّي بالآخرة! يقذف بنفسه في هذا المكان، هذه الصّورة تجعل الإنسان يفيق في معاملته مع النّاس، صورة أنه سيحاسب تفيقه.

من علامات نسيان الدّار الآخرة، احتقار النّاس في المعاملة، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون ١-٢] اليتيم أي الشخص الذي ليس له من يأخذ له حقه، أيّا كان ذلك اليتيم، اليتيم قد يكون شعوبًا بأكملها، فالذي يحتقر النّاس في المعاملة، علامة على نسيانه الدار الآخرة، بل التكذيب بها، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون ١-٢].

لذلك هذه السورة -الهمزة- جاءت بعد سورة العصر بعد قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر ٢-٣]. جاءت سورة العصر بين سورتين: بين سورة التكاثر وسورة الهمزة. جاءت لتخبرنا أن من انشغل بالناس مكاثراً أو مستهزئاً فهو في خسران. جاءت سورة العصر بين سورتين: سورة التكاثر -﴿أَهْلِكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر ١] الذي يريد أن يكثر الناس في الأموال- وبين سورة الهمزة لتخبرنا أن كل من انشغل بالناس مكاثراً أو مستهزئاً هو في خسران، وأنّ لا بدّ من قارعة -كما جاءت القارعة قبل التكاثر- تقرع هذا القلب حتّى

يفيق حتى يعلم مصيره، وينتبه إلى الدار الآخرة ويعامل الناس وهو موقن أن الله يحاسبه على الكلمة، بل على الإشارة؛ فهو - سبحانه - ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر ١٩].

هكذا يعامل الإنسان الناس بالخير حينما تظلل الدار الآخرة في حساباته، لأنه يعامل الله قبل أن يعامل الناس.

لذلك لما عفا أبو بكر - رضي الله عنه - عن مسطح كان يعامل الله. [الصحابي مسطح الذي وقع في عرض أمنا عائشة رضي الله عنها]، فعفا عنه أبو بكر الصديق، لماذا؟ أراد أن يغفر الله له، فهو ليس مشغولاً بمسطح، هو مشغولٌ بمعاملة الله له، أراد الصديق - الموعود بالجنة - أراد مغفرة الله؛ فعفا^{١٤}.

^{١٤} [عن عائشة أم المؤمنين:] كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ سَفَرًا، أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيْبَسُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَفْرَعُ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْبِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأَنْزَلَ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلْنَا وَدَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَقْدِي مِنْ جُرْعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عَقْدِي فَحَسَبْتَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلْتُ الرَّهْطَ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَزْكُبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ. قَالَتْ: وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خَفَافًا، لَمْ يُهَيِّئَنَّ وَلَمْ يُغَشَّهِنَّ اللَّحْمَ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَةَ مِنَ الطَّلَعِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ نَقْلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَتَبَعْتُوا الْجَمَلَ وَسَاوُوا، وَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَارِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَبَيَّنْتُ مَنَزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَرَجَعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنَزِلِي عُلْبَتِي عَيْنِي فَبَيْنْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السَّلْمِيُّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ قَدْ عَزَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّجَى، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنَزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفْتِي حِينَ رَأَيْتِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابَ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفْتِي، فَحَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يَكْلَمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَتَانِي رَاحِلَتُهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَأَطْلَقَ يَتَوَدَّى الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْتَا الْجَيْشَ، بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوَعَرِينَ فِي خَرِّ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كَثْرَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاسْتَكْنَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالتَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجْهِي أَيُّ لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسَلِمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَذَلِكَ يَرِيئِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا تَهَتُّ وَخَرَجْتُ مَعِي أَمْ مَسْطُحٌ قَبْلَ الْمَتَاعِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزًا، وَلَا تُخْرَجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَخْجِدَ الْكُفَّ قَرِيبًا مِنْ بَيْتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّرُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَدَّى بِالْكَفِّ أَنْ تَخْجِدَهَا عِنْدَ بَيْتِنَا، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مَسْطُحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي زُهْمٍ بِنِ الْمَطْلَبِ بِنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صُخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَهَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مَسْطُحٌ بِنُ أُنَانَةَ بِنِ عَبْدِ بْنِ الْمَطْلَبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي زُهْمٍ قَبْلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَتَرْتُ أُمَّ مَسْطُحٍ فِي مَرْطَلِهَا، فَقَالَتْ: نَعَسَ مَسْطُحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بَسُّ مَا قُلْتُ، أَنْتَسِينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَيُّ هَتَّاءَ، أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَارْتَدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ قُلْتُ: أَتَأْذُنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوِي؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيْتَنَ الْحَبْرَ مِنْ قَبْلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَبَوِي فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَخَدُّ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بِنْتَهُ هُوَ بِنِي فَوَاللَّهِ لَقَدْ كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا صَرَائِرٌ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَقَدْ تَخَدَّتِ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبِكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَجِلُ بَنُومًا، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ، بِنَسْتِشِيرُهَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهَا، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوَدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمْ أَهْلُكَ وَلَا تَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُصَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقُكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيْرَةَ فَقَالَ: أَيُّ بَرِيْرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟ قَالَتْ لَهَا بَرِيْرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتِ عَلِيًّا أَمْرًا قَطُّ أَعْمُصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنِّي جَارِيَةٌ حَدِيثَةَ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجْبِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاحِجُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعَدَّرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ سَلُولٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَغْدُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَغْدُرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِيِّ صَرَبْنَا غُنْفَهُ وَإِنْ كَانَ مِنَ

الذي ينشغل بمعاملة الله وينشغل بالدار الآخرة ويوقن أنه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق] ١٨]، الذي يفكر بهذه الطريقة هو الذي يعامل الناس بالعدل، بل بالفضل؛ لأنه ينتظر ما عند الله - عز وجل -.

أسأل الله عز وجل أن يهدينا لأحسن الأقوال والأفعال.

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأفعال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت،

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك،

إخواننا الخرزج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخرزج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتهته الحبيثة، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تثقله، ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن خصير، وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لتفتلته فإياك منافق تجادل عن المنافقين فتاز الحبان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم، قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفضهم حتى سكنوا وسكت، قالت: وبكى يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المبيلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يطلتان أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي اشتأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم، ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسئرتك الله وإن كنت بالمت بدنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بدنب، ثم تاب تاب الله عليه قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقالته قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما قال فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأبي: أجبني عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت وأنا جارية حديثه البين لا أفراً كثيراً من القرآن إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استغفرت في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أي بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني بريئة لتصدقوني وإني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون}. قالت: ثم حوئت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا، والله حينئذ أعلم إني بريئة وأن الله مبري براءتي، ولكن، والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحى ينلى، ولشأني كان أخف في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في أمر ينلى، ولكيتي كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما زام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق، في اليوم الشت، من يقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: أئشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أعي: فومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، قالت: فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ لَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ: {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ}. قَالَ جِبَانٌ بَنُ مُوسَىٰ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ الْمُبَارِزِ: هَذِهِ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَجِبُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مَسْطَحِ الثَّقَفَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزَعَهَا مِنْهُ أَبَدًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْتَ؟ أَوْ مَا رَأَيْتَ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَضَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَلَفَتْ أَخْتَهَا حَمْنَةَ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيهِنْ هَلَكًا. قَالَ الرَّهْرِيُّ: فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْتَا مِنْ أَمْرِ هُوَ لَا يَرْهَطُ. وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: اخْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ.

اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عتًا،

اللهم ارفعنا به في الجنة يا رب العالمين،

اللهم إنا نسألك الفردوس، اللهم إنا نسألك الفردوس، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى من الجنة،

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة،

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا،

اللهم اصرف عن بلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم قيض لهذا البلد أمر رشد يُعزّ فيه أهل طاعتك ويُذلّ فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ويُحجّم فيه كتابك يا رب العالمين،

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.